الوجهة الخامسة

تجمع أربع صور توضح وتعرف أوضاع مبانى المسجد الحرام القديمة وأبوابها وعددها وأعداد أعمدتها وشرفاتها وصورها.

* * *

فى تعريف وضع المسجد الحرام القديم

حينما أسس إبراهيم ـ عليه السلام ـ كعبة الله لم يكن حولها منازل ولا بيوت ولا حوانيت، كما أن طوائف العمالقة والجراهمة وأقوام خزاعة لم يرغبوا فى بناء المساكن حول الكعبة، ولكن (قصى) بن كلاب حينما استولى على تدبير أمور بيت الله، وأصبح واليا على المدينة الشهيرة، وأخذ مفتاح كعبة الله فى يده القوية. وتولى على عاتقه تدبير شئون القبائل، جمع أفراد قبيلة قريش ونصحهم بأن يسكنوا فى أطراف كعبة الله المفخمة، وأسس بنفسه مبنى دار الندوة كما جاء فى الصورة الثامنة من الوجهة الثانية.

وكان المكان الذى بنى فيه قصى بن كلاب دار الندوة جهة الزاوية التى يطلق عليها الركن الشامى، وفى الساحة التى يوجد فيها المقام الحنفى المتصل بأرض المطاف، حيث يصلى إمام المذهب الحنفى الصلوات الخمس داخل هذا المقام، وأخذ القرشيون فى بناء منازلهم حول الجوانب الأربعة لكعبة الله حتى زاد عددها عن العدد والحصر، وأصبحت مكة المكرمة مدينة عظيمة كثرت شعابها ومحالها كما نراها اليوم.

ولد النبى ﷺ فى منزل يقال له مولد النبى، وهو فى الحى المشهور بشعب على «ثم شرف دار خديجة الكبرى رضى الله عنها الواقعة فى شعب بنى هاشم بالسكن فيها.

* * *

فى عدد أعمدة المسجد الحرام القديمة وذكرها

كان بالمسجد الحرام قبل التجديد (٤٩٦) عمود، بإخراج أعمدة باب دار الندوة الزائد وأعمدة دار إبراهيم الزائد، وكانت سبعة وعشرين منها فى أبواب المسجد و(٤٦٩) منها تحت سقوفها وكانت ثمانية و ثمانون عمودا من تلك الأعمدة فى الجهة الشرقية (١٤٥) منها فى الجهة الشمالية (٨٧) منها فى الجهة الغربية و(٨٧) من أعمدة الجهة الشرقية كانت من قطعة واحدة من الرخام وعمود كان من الطوب اللبن المحروق، و(١٤) عمودا فى الجهة الشمالية كانت من الحجر المنحوت، (٢٥) عمودا فى الجهة الجنوبية كانت من الحجر المنحوت، وكذلك جميع أعمدة الجهة الغربية وأما الباقى فكان من الرخام.

وكان حول الجوانب الأربعة لدار الندوة الزائدة (٦٦) عمودا وكانت كلها مصنوعة من الحجر العادى، إلا أنها أشبهت الرخام بطلائها بمؤنة جيدة. وكان السلطان الغورى المصرى قد أرسل خيرى بك من كبار موظفى الدولة المصرية فى عام (٩١٧) لتصليح وتعمير بعض أجزاء المسجد الحرام المحتاجة إلى الترميم، وعمر خيرى بك باب إبراهيم الزائد وأسس فوقه قصر يعادل الخورنق، ومسجدا وعدة منازل أضاف إليها ما تحتاجه المنازل من المغاسل وخزانات المياه، ووقفها باسم السلطان، وبنى على طرفى الباب المذكور الزائد غرفا من طابقين لإيواء الفقراء والصلحاء من الناس، وأنشأ صهريجًا يملأ عند نزول المطر فى الجهة الجنوبية من الباب وكذلك أنشأ سبيلا لا مثيل له.

وأنشأ خوش كلدى بك بأمر تلقاه من السلطان سليمان فى سنة (٩٤٧) مخزنا من غرفتين[1] لحفظ قناديل بيت الله والأشياء الخاصة بالمقام الحنفى.

(١) إن هذه المخازن قد هدمت بعد موت السلطان سليمان، وضمت أرضها إلى ساحة الحرم الشريف.

الذى كان بنى فى خلال عام (٨١٥) وعقب ذلك بنى أعمدة باب إبراهيم الزائد مصنوعة من الرخام

إن الأعمدة التى أمر بصنعها خوش كلدى بك، فى باب إبراهيم الزائد كانت أحد عشر من أعمدتها فى الجهة التى يقع فيها الرواق الجنوبى، وستة فيها فى الجهة التى يقع فيها الرواق الشمالى، وكانت كلها من الحجر المنحوت فى المقام الحنفى بعد سنة من تعمير المقامات المذكورة، لأن مبانى المقام الحنفى كانت أكبر نسبيا بالنسبة للمقامات الأخر، وقد شرع فى تجديده سنة (٩٤٧) وأتمه فى سنة (٩٤٩)، بينما أتم تعمير المقامات الأخرى فى سنة (٩٤٨)، وأمكن استخدام مبانى مقام إبراهيم التى هى أثر من آثار (خوش كلدى) بك (٦٨) عاما، إلا أن رواد المقام الحنفى وجماعاته زادت سنة بعد سنة وضاق بهم، ولما أبلغ الأمر إلى باب السعادة هدم محمد باشا والى مصر ذلك المقام وأنشأه من جديد بناء على الفرمان السلطانى الذى تلقاه.

كما أنه قد رمم قطع رخام المطاف ونظف مجرى عرفات وجدد كسا الأعمدة الداخلية للبيت المعظم ونظف كعبة الله بأن رفع أكوام الكناسة التى حول الكعبة.

وبما أن محراب المقام الحنفى الذى وسعه محمد باشا كان قد أسس فوق ساحة المطاف الشريف، فكانت صفوف المسلمين المصلين فى داخل الحرم ترى غير منتظمة من خارج الحرم وفى سنة (١٣٠١) أى بعد توسيع المقام الحنفى بمائتين وأربع وثمانين سنة، أخرج والى الحجاز عثمان باشا الجهة التى تقع بالمحراب فى ساحة المطاف وحركها نحو جهة باب إبراهيم الزائد، وانتظم الصف الذى يقع فى هذه النقطة، وهكذا نال ثواب هذا العمل الذى أتمه، بناء على الأمر السلطانى، ومازال عثمان باشا واليا على الحجاز.

لازمة

إن المقامات الأربعة الخاصة بأئمة المذاهب الأربعة من جملة المستحدثات التى

لا محل لها فى الشريعة الإسلامية، وقد أنشئت فى سنة (٨١٥هـ) حينما كان يحكم مصر فرج بن برقوق بن أنس من ملوك الشراكسة. وأراد شاه إيران نادر شاه أن يزيد المقامات إلى خمسة بإنشاء مقام خاص للمذهب الجعفرى، إلا أنه لم ينل مطلبه وخاب فى مسعاه.

* * *

تعرف عدد شرفات المسجد الحرام القديمة وهيئتها

الشرفات جمع كلمة شرفة وهى نوع من أنواع الزينة فى المبنى يطلق على الأماكن البارزة العالية فوق جدران القلاع، وقد يجمع على شرف أيضا ويتوارى الجنود خلفها فى أثناء الحروب، وكان للمسجد الحرام قبل التجديد أربعمائة من الشرفات الكاملة، وسبعة من الشرفات النصفية الداخلية، واثنين وخمسين من الشرفات الخارجية الكاملة، وشرفة واحدة خارجية غير تامة، وسواء أكانت الشرفات الخارجية أو الشرفات الداخلية ما كانت تتجمع فى مكان واحد أو اثنين، بل كانت متفرقة فوق أبواب المسجد الحرام.

وكان فى كل باب عدة شرفات، وقد بنيت بين الشرفات مساكن ومنازل وأربطة ومدارس، وهذه الأماكن تخلو من الشرفات، وكان لدار الندوة الزائدة (٢٧) شرفة ولباب إبراهيم الزائد (٤٤) شرفة وكانت كلها ترى من داخل الحرم الشريف.

ليس هناك مؤرخ إلى عصر وليد بن عبد الملك يعرف شيئا عن وجود الشرفات فى المسجد الحرام لذا حكم أن تزيين الحرم الشريف بالشرفات أثر من آثار وليد بن عبد الملك.

* * *

تعرف أبواب المسجد الحرام القديمة وتبين عددها

كان للمسجد الحرام مقدما تسعة عشر بابا عاليا مبنيا على عقدين وكان باب أقيم على كمرين مثل جسر، ذو فتحتين ومازالت بعض هذه الأبواب، محتفظة بأشكالها القديمة وهى معروفة لدى الناس. وكل باب كان له فتحتان إلا أن الاثنين يطلق عليهما اسم واحد. ويطلق مثلا على البابين المجاورين اسم باب السلام، وعلى هذا الحساب يجب أن يصل عدد طاقات الأبواب وكمرها إلى ثمانية وثلاثين كمرا، إلا أن معمار المدرسة السليمانية قد أضاف فوق أحد هذه الأبواب كمرا عاليا، وهكذا أوصل كمر الأبواب إلى تسعة وثلاثين كمرا.

* * *